المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية

"عرض ونقد"

The Miracle According to the Ash'ari and Maturidi Schools

"Presentation and Critique"

إعداد:

فاطمة بنت عبد الله مفرج الدوسري

Fatima Abdullah Mufrij Al-Dosari

مسار العقيدة والمذاهب المعاصرة – قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة الملك سعود

د.هند بنت أحمد العصيمي

Dr.Hind Ahmed Al-Asimi

الأستاذ المشارك – مسار العقيدة والمذاهب المعاصرة – قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة الملك سعود

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

ملخص البحث: يتناول هذا البحث مفهوم " المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية، حيث تعرض لتعريف المعجزة عند كلتا الفرقتين وبيان شروطها ودلالتها، مبيناً علاقة المعجزة بدلائل النبوة عند الأشاعرة والماتريدية، ثم تعرض لمناقشة التعريف؛ ليخلص إلى الاتفاق التام بين الأشاعرة والماتريدية في تعريف المعجزة وشروطها، كما بيَّن ما اشتمل عليه التعريف من خلل وقصور.

الكلمات الدالة: المعجزة، النبوة.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

يعد موضوع النبوة من أعظم أبواب العقيدة، وأحد أهم جوانب الاعتقاد؛ إذ إن الإيمان برسل الله – تبارك وتعالى – أحد أركان الإيمان الستة، التي لايصح إيمان العبد حتى يؤمن بها، ومن الموضوعات الرئيسة التي تتعلق بالنبوة دلالات النبوة، وتُعدُّ المعجزة من أهم تلك الدلالات التي عُني بها العلماء ووقع الاختلاف فيها بين الفرق الإسلامية.

مشكلة البحث:

يتعلق مفهوم المعجزة بدلائل النبوة، وقد وقع فيها الخلاف بين الفرق الإسلامية خاصة الأشاعرة والماتريدية، حيث تُعدُّ المعجزة عندهم أهم دليل على صدق النبوة، وقد تعرض مفهومهم للمعجزة للنقد، وهو ما تطلب تحرير البحث فيه.

حدود البحث:

يتناول البحث المعجزة عند الأشعرية والماتريدية من كتبهم.

مصطلحات البحث:

المعجزة – النبوة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعلقه بمفهوم مهم يُعتمد عليه في إثبات النبوة.

٢- اختلاف الفرق الإسلامية في مفهوم المعجزة.

٣- تُعدُّ المعجزة من أهم الأدلة التي اعتمدت عليها الفرق الكلامية لإثبات صدق النبوة.

أهداف البحث:

١- معرفة مفهوم المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية.

٢-بيان الشروط التي وضعها الأشاعرة والماتريدية للمعجزة.

٣- إبراز مذهب أهل السنة في المعجزة.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية؟

٢-ما الشروط التي وضعها كلا الفريقين لقبول المعجزة؟

٣-ما مذهب أهل السنة في المعجزة؟

الدراسات السابقة:

١.حقيقة المعجزة وشروطها عند الأشاعرة، د. عبد الله بن ناصر القرني، مؤتمر حول إعجاز القرآن الكريم، الزرقاء، الأردن، وقد تناول فيه بالعرض والنقد حقيقة المعجزة وشروطها عند الأشاعرة، والأصول المنهجية التي بنوا عليها مذهبهم فيها، ويظهر من عنوان البحث أنه يقتصر على الأشاعرة ولم يتعرض لمذهب الماتريدية الذي تعرضت إليه في بحثي.

٢.مسألة القضاء والقدر والسببية والمعجزات عند الأشاعرة: سميرة حسن حامد محمد: حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

تعرض البحث لمذهب الأشاعرة في النبوة مبيناً أن إثبات النبوات أعظم أركان الدين، وأن انبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة، وأن المعجزة هي أعظم دلائل النبوة عندهم.ولم يتعرض البحث للحديث عن المعجزة عند الماتريدية، وهو ما تناوبته في هذا البحث.

٣.المعجزة عند المعتزلة والأشاعرة. معاذ العياصرة، كلية الشريعة جامعة الزرقاء–الأردن

يتحدث هذا البحث عن دلالة المعجزة عند المعتزلة والأشاعرة وشروطها، مع إيراد الردود عليهم في ذلك، حيث بيَّن الباحث ما وضعه

المعتزلة والأشاعرة من شروط للمعجزة ودلالاتها، خالفوا بذلك بعض الوقائع والأحداث الصحيحة لمعجزات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– ولم يتعرض البحث للحديث عن المعجزة عند الماتريدية، وهو ما تناولته في هذا البحث.

منهج البحث:

انتهج البحث المنهج التحليلي.

إجراءات البحث:

أولًا: الإجراءات الخاصة:

١.جمع المادة العلمية المتعلقة بالمعجزة من كتب الأشاعرة والماتريدية.

٢. المقارنة بين أقوال الأشاعرة والماتريدية في المعجزة.

٣. عرض مذهب الأشاعرة والماتريدية في المعجزة على مذهب أهل السنة ونقده.

ثانيًا: الإجراءات العامة:

١. عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. عزو الأقوال إلى أصحابها والإحالة إلى مواضعها من كتبهم.

٣. طريقة عزو المراجع بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة مع الاكتفاء بذكر بيانات الطبعة كاملة عند أول مرة يذكر فيها المرجع في هامش البحث.

٤. تذييل البحث بالفهارس اللازمة.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على مشكلة البحث وحدوده ومصطلحاته وأهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بمفردات البحث: المعجزة، الأشاعرة، الماتريدية.

المبحث الأول: مفهوم المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية وشروطها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المعجزة عند الأشاعرة وشروطها.

المطلب الثاني: مفهوم المعجزة عند الماتريدية وشروطها.

المبحث الثاني: علاقة المعجزة بدلائل النبوة عند الأشاعرة والماتريدية.

المبحث الثالث: نقد مفهوم المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج المستخلصة من البحث.

الفهارس العلمية: فهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد: التعريف بمفردات البحث

أولًا: التعريف بالمعجزة

المعجزة لغةً: من العَجْز وهو الضعف، تقول: عَجَزتُ عن كذا، أعْجِزُ بالكسر عَجْزَاً ومَعْجِزَةً ومَعْجِزاً بالفتح، وجاء في معنى الإعجاز الفوت والسبق، يقال أعجزت فلان، أي فاتني... إذا عجزت عن طلبه وإدراكه [1].

ومن هذه المعاني اللغوية يتبين لنا أن المعجزة تدل على الضعف والتأخر وعدم القدرة على المواجهة في الشيء المتحدى به.وبالتالي فإن المعاني الواردة في المعجزة تدل على ضعف الخصم، وتأخره وعدم قدرته على المواجهة في الشيء المتحدى به.

المعجزة اصطلاحاً :

عرفها العلماء بأنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة[2].

فكل رسول أرسله الله تعالى إلى قوم، لم يخلُ من آية أيدَّه بها، وحجةٍ آتاها إياه، وجعل تلك الآية مخالفة للعادات؛ إذ كان ما يريد الرسول إثباته بها

[1] انظر: **تهذيب اللغة**، الأزهري (١/ ٢١٩)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري (٣/ ٨٨٣-٨٨٤)، **المحيط في اللغة**، الصاحب بن عباد، (١/ ٢٤١).

[2] انظر: **التعريفات**، الجرجاني (ص٢١٩)، **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي (٤/ ٣).

رسالة الله عز وجل أمراً خارجاً عن العادات ليستدل باقتران تلك الآية بدعواه أنه رسول الله[٣].

فدل ذلك على أن المعجزة في اصطلاح المتكلمين تدل على أمر يأتي به الرسول يدل على صدقه مقرونًا بالتحدي بالعجز عن الإتيان بمثله.

ولو اقتصر الأمر على تسمية ما يأتي به الرسول من هذا الجنس بالمعجزة، لكان الأمر يسيرًا، ولا مشاحة في الاصطلاح لكن الإشكالية في حصر الدليل على صدق النبوة بالمعجزة على النحو الذي سنبينه لاحقًا.

ثانيًا: التعريف بالأشاعرة

الأشاعرة: فرقة كلامية تنسب إلى أبي الحسن البصري المتوفى في بغداد سنة، ظهر هذا المذهب في القرن الرابع الهجري، ثم تطور فيما بعد بواسطة كثير من أئمة المذهب الأشعري؛ منهم القاضي أبو بكر بن الباقلاني، وابن فورك، وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو المعالي الجويني، والفخر الرازي، والآمدي، والإيجي، حتى صار المذهب الأشعري فرقة كلامية، فلسفية، وصار ينتسب إليه كثير من المسلمين؛ لظنهم أنه مذهب أهل السنة والجماعة، مع أن هذا المذهب حادث بعد القرون الثلاثة الأولى.

[٣] انظر: **شعب الإيمان**، البيهقي، (١/ ١٥٢).

وقد خالف الأشاعرة مذهب أهل السنة في كثير من المسائل، حيث اعتمدوا العقل مصدرًا للتلقي في العقائد وقدموه على النقل عند التعارض، ونفوا حجية خبر الآحاد في العقيدة، وأثبتوا سبع صفات ونفوا ما عداها بتأويل أو تفويض بزعم أن العقل لم يدل عليها، وأنكروا علوّ الله على خلقه حقيقة، ونفوا الصفات الاختيارية وقالوا بالكلام النفسي، وأن كلام الله ليس له تعلق بمشيئته، وأنه ليس بحرف وصوت، وهم جبرية في باب القدر، حيث قالوا بالكسب وصرح أئمتهم أنه يؤول إلى الجبر، وقالوا بالإرجاء في باب الإيمان إلى غير ذلك [٤].

ثالثًا: التعريف بالماتريدية

الماتريدية فرقة كلامية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي، وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الرابع الهجري، ولم تكن في أول أمرها معروفة، فلم نجد مَن ذكرها من العلماء المؤلفين في الفرق في القرن الرابع والخامس والسادس كأبي الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين"، والملطي في كتابه "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع"، وعبد القاهر البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق"، والشهرستاني في كتابه "الملل والنحل."

[٤] انظر: **الملل والنحل**، الشهرستاني (١/ ٩٤).

ولعل أول من أشهر مذهب الماتريدي: أبو اليسر البزدوي النسفي شيخ الحنفية فيما وراء النهر، له مؤلفات كثيرة، منها كتاب أصول الدين، أظهر فيه مذهب الماتريدي، ونصره، وبيَّن أنه مذهب أهل السنة والجماعة، وذكر أن أبا الحسن الأشعري يوافقهم في أكثر المسائل، وذكر بعض المسائل التي خالف فيها أبو الحسن الأشعري وابن كلاب أهل السنة والجماعة الذين يقصد بهم الماتريدية، وذكر أن مذهبهم وسط بين المعتزلة والجهمية والحنابلة والكرامية.

والمذهب الماتريدي كمذهب الأشاعرة المتأخرين في غالب الأصول؛ كتأويل نصوص الصفات أو تفويض معانيها، وإنكار علوِّ الله على خلقه حقيقة، والقول بأن الله ليس في السماء، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا يمين ولا يسار، ولا فوق ولا تحت، والقول بالكلام النفسي، وأن كلام الله ليس له تعلق بمشيئته، وأنه ليس بحرف وصوت، وأنه لا يسمع، والقول بعدم حجية أخبار الآحاد في العقائد، ولذلك صار علماء الأشاعرة والماتريدية المتأخرون يعدون أهل السنة مَن انتسب إلى أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، وجعلوا الخلاف القليل الذي بين المذهب الأشعري والمذهب الماتريدي خلافًا سائغًا[٥].

[٥] انظر: **الفرق الكلامية**، ناصر العقل (ص: 175 – 187)، **أصول الدين**، البزدوي (ص:10 وما بعدها).

المبحث الأول: تعريف المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية وشروطها

المطلب الأول: تعريف المعجزة عند الأشاعرة وشروطها

المعجزة عند الأشاعرة أمر خارق للعادة يأتي به مدعي النبوة يتحدى به من أرسل إليهم، فيدل عجزهم عن معارضته على صدقه في دعوى النبوة.

وقد عُني علماء الأشاعرة بتعريف المعجزة، وإن اختلف التعريف في بعض الألفاظ إلا أن المعنى محل اتفاق، ومن هذه التعريفات ما عرف به الباقلاني المعجزة بأنها: أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم الأمم بالإتيان بمثل ذلك [٦]، وبمثله عرفها الجويني [٧]، وكذا الرازي [٨].

يتبين مما سبق أن للمعجزة أربعة شروط عند الأشاعرة، هي:

الأول: خارقة للعادة.غير جارٍ على ما اعتاده الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية؛ ليتميز به المدعي عن غيره.

---

[٦] انظر: **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، الباقلاني (ص: 58).

[٧] انظر: **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، الجويني (ص: 261- 264).

[٨] انظر: **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين**، الرازي (ص: ٢٠٧).

الثاني: مقرونة بالتحدي، أي أن المدعي يتحدى من يخاطبهم أن يأتوا بمثل ما جاء به، ولا بُدَّ أن يكون الذين يُتَحدَّونَ من القادِرين على الإتيان بمثل المعجزة إن لم تكن من عند الله، وإلاَّ فإن التحدِّي لا يُتَصوَّر.

الثالث: عدم المعارضة، أي لا يستطيع خصوم مدعي النبوة أن يأتي بمثل ما جاء به، فلو استطاعوا المجيء بمثل ما جاء به مدعي النبوة بطلت حجته، ولم يسلم له ادعاؤه أن هذا الأمر دليل على صدقه وأمارة على بعثته.وقد جعل الأشاعرة عدم المعارضة هي التي يتميز بها النبوة عن السحر والشعوذة [٩].

الرابع: تصدر من مدعي النبوة.والمعنى أن مدعي النبوة يأتي بهذا المعجز دليلًا على دعواه السابقة للنبوة.

المطلب الثاني: تعريف المعجزة عند الماتريدية وشروطها

لا يختلف تعريف المعجزة عند الماتريدية عما ذكره الأشاعرة من أنه أمر خارق للعادة يأتي به مدعي النبوة يتحدى به من أرسل إليهم، فيدل عدم قدرتهم على معارضته على صدقه في دعوى النبوة.

ويرى أبو المعين النسفي على طريقة المتكلمين: أن المعجزة هي ظهور أمر بخلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق مدعي النبوة مع نكول من

[٩] انظر: **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين**، الرازي (ص: ٢٠٧-٢١٥).

يتحدى به عن معارضته بمثله[١٠]، وبمثله عرفها التفتازاني[١١]، وكذا الملا علي القاري[١٢].

يتبين من تعريف المعجزة عند الماتريدية أن شروطها عندهم هي الشروط نفسها التي قررها الأشاعرة، وهي:

الأول: خارقة للعادة.

الثاني: مقرونة بالتحدي.

الثالث: عدم المعارضة.

الرابع: صادرة من مدعي النبوة.

يقول أبو المعين النسفي شارحًا للتعريف السابق: "وإنما قيد بدار التكليف؛ لأن ما يظهر من الناقض للعادة في دار الآخرة لا يكون معجزة، وإنما قلنا لإظهار صدق مدعي النبوة ليقع الاحتراز به عما يظهر مدعي الألوهية؛ إذ ظهور ذلك على يده جائز عندنا، وفيه أيضًا احتراز يظهر على يد الولي؛ إذ ظهور ذلك كرامة للولي جائز عندنا، وإنما قلنا لإظهار صدقه؛ لأن ذلك لو ظهر لإظهار كذبه لا يكون ذلك معجزة له، ولا دليلا على صدقه، بل يكون دليلًا على كذبه في دعواه، وإنما قلنا مع نكول من يتحدى به عن

[١٠] انظر: **التمهيد لقواعد التوحيد**، النسفي، (ص: ٧٤).

[١١] انظر: **شرح العقائد النسفية**، التفتازاني (ص: 86).

[١٢] انظر: **شرح الفقه الأكبر**، الملا القاري (ص: 86)، **إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين**، البياضي (ص: 269).

معارضته بمثله؛ لأن الناقض للعادة لو ظهر على يده، ثم ظهر على يد المتحدي به مثله، لخرج ما ظهر على يده عند المعارضة عن الدلالة؛ إذ مثله ظهر على يدي من يكذبه يكون دليل صدق من يكذبه، فيتعارض الدليلان فيسقطان[١٣].

ويؤكد الماتريدي على هذه الشروط في تفسيره بتطبيقه إياها على معجزة نبي الله عيسى –عليه السلام– عند حديثه عنها فيرى أن إبراء الأكمه والأبرص "هو من آيات النبوة؛ لخروجها عن الأمر المعتاد فيما بينهم.فَإِنْ قِيلَ: إن إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص من آيات النبوة؛ لعجزهم عن إتيان مثله، وخروجه عن المعتاد فيما بينهم، ولكن أنباء ما يأكلون وما يدخرون لِمَ كان من آيات النبوة، ويجوز أن يكون ذلك من منجم؟ "

قيل: له جوابان –إن كان، يكون مثل ذلك بالنجوم :

أحَدهما: أنه مضموم إلى الآيات؛ فصار آية بما ضم إليها.

والثاني: أن هذا –وإن كان يعلم بالنجوم– فعيسى – عليه السلام – لما علم قومه أنه لم يختلف إلى أحد في تعلم علم النجوم، ثم عرف ذلك وأنبأهم بذلك – دلَّ أنه إنما علم ذلك باللَّه؛ فكان آية، وباللَّه التوفيق.

[١٣] انظر: **التمهيد لقواعد التوحيد**، النسفي، (ص: ٧٤-٧٥).

ومع ما كان في قومه من أطباء وحكماء وبصراء – لم يَدَّعِ أحد شيئًا من هذه الآيات التي جاء بها عيسى – عليه السلام – دلَّ ترك اشتغالهم في ذلك على إقرارهم بأنها آية سماوية، لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا به[١٤].

تبين لنا من بيان الماتريدي السابق لمعجزة نبي الله عيسى – عليه السلام – شروط المعجزة عنده، والتي ذكرها أصحابه من بعده من أنها وقعت من مدعي النبوة وخرجت عن المعتاد ولم يستطع قومه معارضته فيها بالإتيان بمثلها.

[١٤] انظر: **تفسير الماتريدي** (تأويلات أهل السنة)، الماتريدي (٢/ ٣٧٧).

المبحث الثاني: علاقة المعجزة بدلائل النبوة عند الأشاعرة والماتريدية

للأشاعرة والماتريدية في دلالة المعجزة على النبوة قولان:

الأول: حصر دلالة النبوة في المعجزة، وقد ذهب إليه كثير من علمائهم.

الثاني: عدم حصر دلالة النبوة في المعجزة وذكروا طرقًا أخرى، لكنهم جعلوها مكملة لدلالة المعجزة[١٥].

وممن قال من الأشاعرة بحصر المعجزة في الدلالة على النبوة القاضي أبو بكر الباقلاني فيرى أنه يجب أن يعلم أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات[١٦]، ويرى في نفس المعنى أيضًا أنه قد اتفق على أنه لا دليل يفصل بين الصادق والكاذب في ادِّعاء الرسالة إلا الآيات المعجزة[١٧].

وفي ذلك أيضًا يرى إمام الحرمين الجويني: أنه لا دليل على صدق النبي غير المعجزة .[١٨]

---

[١٥] انظر: **حقيقة المعجزة وشروطها عند الأشاعرة**، عبد الله القرني (ص: 3-10).

[١٦] انظر: **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، الباقلاني (ص: ٥٨).

[١٧] انظر: **البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر**، الباقلاني (ص: ٣٨) .

[١٨] انظر: **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين**، للجويني (ص:٣٣١) .

وفي المعنى نفسه يرى التفتازاني أن طريق إثبات النبوة على الإطلاق على المنكرين هو المعجزة لا غير[١٩].

فهذه آراء ثلاثة من أئمة المذهب الأشعري في أزمان مختلفة حصروا دلالة النبوة في المعجزة.

وإلى مثل ما قالت به هذه الطائفة من الأشاعرة ذهبت طائفة من الماتريدية إلى أنه لا دليل على صدق النبي غير المعجزة، بحجة أن المعجزة وحدها هي التي تفيد العلم اليقيني بثبوت نبوة النبي أو الرسول.

يرى البزدوي أنه لا يتصور ثبوت الرسالة بلا دليل فيكون الثبوت بالدلائل وليست تلك الدلائل إلا المعجزات...، ولابد للناس من معرفة الرسل ولا طريق للمعرفة سوى المعجزات[٢٠].

ويرى أبو المعين النسفي أنه إذا لم يجب قبول قوله بدون الدليل يطالب بالدليل وهو المعجزة، وحدها على طريقة المتكلمين[٢١].

وما ذكره أصحاب هذا القول سواء من الأشاعرة أو الماتريدية من حصر الدلالة على النبوة في المعجزة لاشكّ أنه باطل، بل طرق الدلالة على النبوة كثيرة ومتنوعة، ولا تقتصر على المعجزة.

---

[١٩] انظر: **شرح المقاصد**، التفتازاني (٣/ ٢٨٠).

[٢٠] انظر: **أصول الدين**، البزدوي (ص: 97، 98) .

[٢١] انظر: **التمهيد لقواعد التوحيد**، أبو المعين النسفي (ص: 74) .

ويرى الإمام ابن أبي العز الحنفي في بيان هذا المذهب ونقده أن الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثيرًا منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة ... ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة[٢٢].

فإذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علمنا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعدّدة:

منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم، وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم، وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، كغرق فرعون، وغرق قوم نوح، وبقية أحوالهم، عرف صدق الرسل.

[٢٢] انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز (ص: ١٠٩).

ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاؤوا به من الرحمة والمصلحة والهدى والخير، ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرّهم، ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم برٍّ يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق[٢٣].

وأما القول الثاني للأشاعرة والماتريدية في مكانة دلالة المعجزة على النبوة: فذهب أصحابه إلى دلائل النبوة لا تقتصر على المعجزة بل هناك دلائل أخرى غير دلالة المعجزة، وذكروا من ذلك دلالة أحوال النبي – صلى الله عليه وسلم – ودلالة البشارات السابقة بالنبي – صلى الله عليه وسلم-

وقد لخص عضد الدين الإيجي في كتابه "المواقف" ثلاثة مسالك ذكرها الأشاعرة في الاستدلال على نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وذكر في المسلك الأول : المعجزة، ثم في المسلك الثاني «الاستدلال بأحواله قبل النبوة، وحال الدعوة، وبعد تمامها، وأخلاقه العظيمة، وأحكامه الحكيمة، وإقدامه حيث يحجم الأبطال»[٢٤].

وذكر في المسلك الثالث «إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته – عليه السلام – في التوراة والإنجيل»[٢٥].

[٢٣]انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز (ص:١١٥-١١٦).

[٢٤]انظر: **المواقف**، الإيجي (٣/ ٣٨٦).

[٢٥]انظر: **المصدر السابق**، (٣/ ٣٨٧).

لكنه أكّد أن مسلك الاستدلال بالمعجزة على نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – «هو العمدة»[٢٦]،

وقال بعدما ذكر المسلكين السابقين، وذكر بعض ما قد يعترض على بعضها من الشكوك « المعتمد ظهور المعجزة على يده، وهذه الوجوه الأخرى للتكملة وزيادة التقرير»[٢٧].

وأصحاب هذا القول، وإن اعترفوا بهاتين الدلالتين على النبوة فإن ما ذكروه من كونهما لمجرد التكملة وزيادة التقرير توهين لدلالتهما، مع أن فيهما الدلالة الضرورية على النبوة[٢٨].

وقد أكد التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية أن دلائل النبوة غير مقتصرة على المعجزة فبعد أن ذكر دليل نبوته –صلى الله عليه وسلم– من إظهار المعجزة ودعوى النبوة ذكر أمورًا أخرى يستدل بها على نبوته –صلى الله عليه وسلم– وهي :

أحدهما: ما تواتر من أحواله قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها، وأخلاقه العظيمة وأحكامه الحكيمة، وإقدامه حيث تحجم الأبطال، ووثوقه بعصمة الله

[٢٦]انظر: **المواقف**، الإيجي (٣/ ٣٧٦).

[٢٧]انظر: **المصدر السابق**، (٣/ ٣٧٨).

[٢٨]انظر: **حقيقة المعجزة وشروطها عند الأشاعرة**، عبد الله القرني (ص: 3-10).

تعالى فى جميع الأحوال، وثباته على حاله لدى الأهوال، بحيث لم تجد أعداؤه مع شدة عداوتهم وحرصهم على الطعن فيه مطعنًا، ولا إلى القدح فيه سبيلًا.فان العقل يجزم بامتناع اجتماع هذه الأمور فى غير الأنبياء، وأن يجمع الله هذه الكمالات فى حق من يعلم أنه يفترى عليه، ثم يمهله ثلاثًا وعشرين سنة، ثم يظهر دينه على سائر الأديان، وينصره على أعدائه، ويحيى آثاره بعد موته إلى يوم القيامة.

وثانيهما: أنه ادَّعى ذلك الأمر العظيم بين أظهر قوم لا كتاب لهم ولا حكمة معهم، وبيَّن لهم الكتاب والحكمة، وعلمهم الأحكام والشرائع، وأتمَّ مكارم الأخلاق، وأكمل كثيرًا من الناس فى الفضائل العلمية والعملية، ونور العالم بالإيمان والعمل الصالح، وأظهر الله دينه على الدين كله، كما وعده. ولا معنى للنبوة والرسالة سوى ذلك[٢٩].

وهذا المذهب الثاني للأشاعرة والماتريدية في عدم حصر دلالة النبوة على المعجزة هو القول الحق الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة[٣٠].

المبحث الثالث: نقد مفهوم المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية

تبين لنا من العرض السابق لمفهوم المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية وشروطها الاتفاق التام بينهما في هذه المسألة، ولم يذكر أحد ممن درس الفرقتين هذه المسألة ضمن مسائل الخلاف بينهما.

---

[٢٩] انظر: **شرح العقائد النسفية**، التفتازاني (٣/ ٣٨٧).

[٣٠] انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز (ص:١١٥-١١٦).

وقد ذكر القاضي كمال الدين البياضي المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة وأوصلها إلى خمسين مسألة، ولم يذكر منها هذه المسألة[٣١]، ومن ثم فإن تعرضنا لنقد تعريف المعجزة سيكون منصبًا على الطائفتين معًا.

ويمكن إيجاز ذلك في النقاط الآتية:

أولًا: إن لفظ المعجزة لم يرد في الكتاب والسنة وأن اللفظ الوارد في الكتاب والسنة للدلالة على صدق النبوة هو الآية أو البينة، وليس من شرطها اقترانه بدعوى النبوة ولا الاحتجاج بها، ولا التحدي بمثلها، قد يقع مثل ذلك في بعض الآيات وقد لا يقع وليس ذلك شرطًا للآية.

يقول الله تعالى في ذكر آية نبي الله صالح: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾} [سورة الأعراف:٧٣]، فسمى الله عز وجل ما جاء به نبي الله صالح ليدل على صدقه بيِّنة ولم يسمها معجزة.

[٣١] انظر: **إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان**، كمال البياضي (ص 269)

ويقول الله تعالى في ذكر نبي الله موسى وما جاء به دلالة على صدقه: {وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾} [سورة طه:٢٢]، فسمى الله عز وجل ما جاء به موسى ليدل على صدقه آية ولم يسمها معجزة.

ثانيًا: أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، وبالتالي فإن دلائل النبوة غير محصورة في المعجزة فقط مع صحتها، ولكن هناك دلائل أخرى لا تقل أهمية عن المعجزة وقد ذكر ذلك بعض علماء الماتريدية والأشاعرة على النحو الذي سبق بيانه ومن هذه الدلائل:

1-النظر في أحوال الأنبياء: فإنّ النظر في حال الرجل وسيرته يفصح عن صدقه، ويشفّ عن باطنه، فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعلمه علم علمًا يقينًا أنه ليس بشاعر ولا كاهن ولا كاذب. ومعلوم أن مدعي النبوة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم.

وما من أحد ادَّعى النبوة من الكاذبين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز.وما من أحد ادَّعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز[٣٢].

[٣٢]انظر: **شرح العقيدة الأصفهانية**، ابن تيمية (ص: 138، 139)، **النبوات**، ابن تيمية (1/ 604).

2-نصر الله وتأييده لهم: فتأييد الله لرسله ونصرته لهم وحفظه إيّاهم دليلٌ على صدقهم، فإن المتنبي الكاذب لا يدوم إلا مدة يسيرة، فإنّه لا يمكن أن تتصوَّر مدعيًا للنبوة كاذبًا في دعواه وينصره الله عز وجل ويستجيب دعاءه ويهلك أعداءه، إنّ هذا لا يتصور من ملِك من الملوك، فكيف بخالق الأرض والسموات.

ومثل هذا في غير موضع يذكر الله تعالى قصص رسله ومن آمن بهم وما حصل لهم من النصر والسعادة وحسن العاقبة وقصص من كفر بهم وكذبهم وحصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبة.وهذا من أعظم الأدلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم وكذب من خالفهم وفجوره.

ثالثًا: تعريفهم المعجزة، بأنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي يظهر على يد نبي، سالم من المعارضة - يجعل الفرق بين المعجزة وبين السحر والشعوذة عندهم هو فقط عدم المعارضة، وكونها جاءت على يد مدعي النبوة - وهذا فرق ضعيف جدًّا؛ لأن مسيلمة الكذاب، والأسود **العنسي** وغيرهما لم يعارضوا، فلو أنهم أتوا بسحر وكهانة وادعوا النبوة، فما الفرق بينهم وبين معجزة الأنبياء؟

ومعلوم أن آيات الأنبياء الدالة على نبوتهم هي التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بد أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحد أن

يعارضها.لكن كونها خارقة للعادة، ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها، ليس هو حدًّا مطابقًا لها، والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضروريًّا كانشقاق القمر، وجعل العصا حية وخروج الناقة، فمجرد العلم بهذه الآيات يوجب علمًا ضروريًّا بأن الله جعلها آية لصدق هذا الذي استدل بها[٣٣].

رابعًا: أنهم لم يفرقوا بين المعجزات والسحر، بل جعلوا الفرق فقط هو تحدي الرسول بالإتيان بمثله، قالوا: ولو احتجَّ الساحر بسحره وادَّعي به النبوة أبطله الله بوجهين: أحدهما: أن ينسب له عمل السحر، والثاني: أنه تمكن معارضته.ولما طولب الباقلاني بالفرق بين السحر والمعجزات التي للأنبياء عوَّل على أن المعجز لا يكون معجزًا حتى يكون واقعًا من فعل الله، على وجه خارق للعادة، مع تحدي الرسول بالإتيان بمثله.

ويمكن مناقشة ذلك من وجوه عديدة نذكر منها:

الأول: أن كون آيات الأنبياء مساوية في الحدِّ والحقيقة لسحر السحرة أمر معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل.

الثاني: أن هذا من أعظم القدح في الأنبياء إذا كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان.

[٣٣] انظر: **النبوات**، ابن تيمية (٢/ ٧٧٥).

الثالث: أنه على هذا التقدير لا تبقى دلالة، فان الدليل ما يستلزم المدلول ويختص به، فاذا كان مشتركًا بينه وبين غيره لم يبقَ دليلًا فهؤلاء قدحوا في آيات الأنبياء ولم يذكروا دليلا على صدقهم.

الرابع: أنه على هذا التقدير يمكن الساحر دعوى النبوة وقوله: إنه عند ذلك يسلبه الله القدرة على السحر أو يأتي بمن يعارضه دعوى مجردة، فان المنازع يقول: لا نسلم أنه إذا ادعى النبوة فلا بد أن يفعل الله ذلك لا سيما على أصله، وهو أن الله يجوز أن يفعل كل مقدور وهذا مقدور للرب فيجوز أن يفعله.

الخامس: وهو أن من الناس من ادَّعى النبوة وكان كاذبًا وظهرت على يده بعض هذه الخوارق فلم يمنع منها، ولم يعارضه أحد بل عرف أن هذا الذي أتى به ليس من آيات الأنبياء، وعرف كذبه بطرق متعددة كما في قصة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي وغير هؤلاء ممن ادَّعى النبوة فقولهم: إن الكذاب لا يأتي بمثل هذا الجنس ليس كما ادَّعوه[٣٤].

[٣٤] انظر: **النبوات**، ابن تيمية (١/ ٢٣٠-٢٣١).

الخاتمة وأهم النتائج

تناول البحث مفهوم المعجزة عند الأشاعرة والماتريدية، حيث تعرض لتعريف المعجزة عند كلتا الفرقتين وبيان شروطها ودلالتها، ثم تعرض لنقد التعريف وقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

١. لا يوجد خلاف بين الأشاعرة والماتريدية في تعريف المعجزة وشروطها.

٢. للأشاعرة والماتريدية في دلالة المعجزة على النبوة قولان، فمنهم من حصر دلالة النبوة في المعجزة ومنهم من ذكر دلائل أخرى.

٣. ذكر أهل السنة أن دلائل النبوة ليست منحصرة في المعجزة وذكروا طرقًا أخرى منها النظر في أحوال الأنبياء ونصر الله وتأييده لهم وغيرها.

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى 1394هـ.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1405هـ- 1985م.
- إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين، القاضي كمال الدين البياضي المتوفى 1097 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - 2007 م.
- أصول الدين، محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو اليسر، صدر الإسلام البزدوي، تحقيق الدكتور هانز بيتر لنس، ضبط وتعليق: الدكتور أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1424 هـ- 2003 م.
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، 1421هـ- 2000م.
- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر، محمد بن الطيب الباقلاني، المكتبة المشرقية، بيروت، الطبعة الأولى، 1958م.
- التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الأولى 1403هـ -1983م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، تحقيق د.مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

- التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، دراسة وتحقيق حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية، درب الأتراك، مصر، الطبعة الأولى، 1406ه- 1986م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.
- حقيقة المعجزة وشروطها عند الأشاعرة، د.عبد الله بن ناصر القرني، مؤتمر حول إعجاز القرآن الكريم،(7 : 23 - 25 آب 2005 = 18 - 20 رجب 1426 هـ، الزرقاء، الأردن
- شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة، الأولى - 1425هـ.
- شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، تحقيق، د / أحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1987 م.
- شرح الفقه الأكبر، الملا علي القاري، تخريج علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بدون ذكر الطبعة أو سنة الطبع.
- شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق، أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1418هـ.
- شرح المقاصد، التفتازاني، تحقيق د.عبد الرحمن عميرة، تقديم موسى شرف، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1419هـ- 1998م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 هـ -1987م.
- الفرق الكلامية لناصر العقل، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 2001م
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، فخر الدين الرازي، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون ذكر الطبعة أو سنة الطبع.
- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، المشهور بالصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان - 1414 هـ -1994 م، الطبعة الأولى.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، 1404ه.
- المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الأولى، 1997م.
- النبوات، ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000م،